مذكرات مصطفى الفقي

الطبعة
5

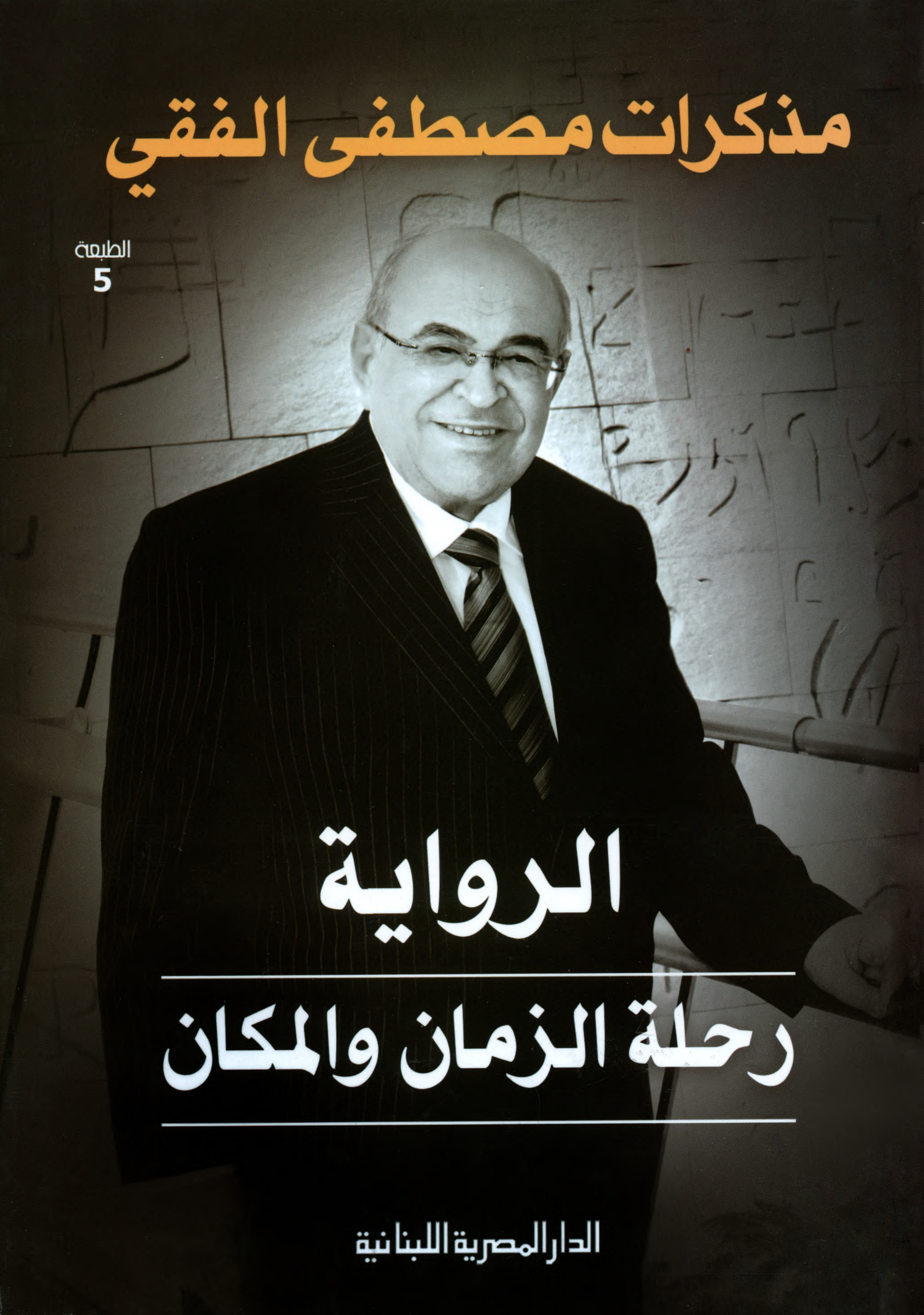

الرواية

رحلة الزمان والمكان

الدار المصرية اللبنانية

المقدمة

ظلت تراودني منذ سنوات بعيدة رغبة تنبع من إحساس شديد بضرورة نشر الحقائق التي أعرفها، والوقائع التي شهدتها، والأحداث التي عشت وسطها، فالإنسان ابن ظروفه، وهو نتاج تجاربه التي يجب أن ينقلها إلى الأجيال الجديدة، وأن يضعها أمام من يريد أن يعرفها، خصوصًا أنني مؤمن بأنه ليس هناك من يحتكر الحقيقة أو يدعي وحده الصواب، فالواقعة الواحدة تختلف فيها وجهات النظر وفقًا لأطرافها، والحدث الواحد لا يتفق عليه معاصروه، وفقًا لاختلاف ثقافاتهم وانتماءاتهم؛ لهذا رأيت أن أكون شاهدًا أمينًا، لا يدعي البطولة، ولا يتوهم أنه حالة خاصة، بل يدرك جيدًا أن الإنسان هو الإنسان في كل زمان ومكان.

وعندما أنظر خلفي إلى ما يزيد عن ثلاثة أرباع قرن، منذ مولدي، أرى أن لكل مرحلة مذاقها، ولكل تجربة قيمتها، فأنا ممن يؤمنون بأن الندم الإيجابي أفضل من الندم السلبي، أي أن تندم على شيء فعلته خيرٌ من أن تندم على شيء لم تفعله، أو فرصة أفلتت منك، فالفرص الضائعة تدعو إلى الأسى، أما الأخطاء التي وقعت فهي تجارب تفسر الحاضر وتضيء المستقبل.

وأنا الآن أرى أن حياتي العملية توزعت أفقيًّا بين العمل الدبلوماسي والنشاط الأكاديمي والاهتمام السياسي والظهور الإعلامي والإسهام البرلماني، وأسأل نفسي تُرى لو أنني ركزت على طريق واحد وفقًا لمنطق التخصص، أما كان هذا أجدى وأفضل؟ ثم أعود فأتمسح في ظلال الشخصيات الموسوعية في تاريخ الفلسفة، لأرى هناك من كان طبيبًا وفنانًا وأديبًا وشاعرًا في ذات الوقت.

وأنا هنا لا أستحضر الأسماء الكبيرة، بدءًا من ابن سينا والفارابي، وصولًا إلى عدد من موسوعيّ الثقافة في عصرنا، ولكن أرى أن الثقافة الغربية، والأوروبية المسيحية خصوصًا تحفل هي الأخرى بزخم كبير من أولئك الذين ضربوا بسهام المعرفة في كل اتجاه، فأفادوا أجيالًا وأناروا طرقًا..

ها هي مذكراتي الشخصية، أروي فيها بتجرد شديد ما رأيت وما سمعت، كما أن «روايتي التي لم تكتمل» ترتبط ارتباطًا وثيقًا بـ «مسرح الحياة»، ومن جهة أخرى تعني إحدى صور الخبر ومصادر المعرفة، فما سجلته هو رؤيتي وما اعتقدت أنه الحقيقة، دون حجر أو تسفيه لرأي أحد.

ولا يخفى على القارئ أنه من المستحيل رصد كل التفاصيل، وتجميع كافة أحداث الحياة، ولكنني اخترت منها ما يعطي مؤشرًا يسمح بفهم الشخصية ومسارها الطويل في كافة الاتجاهات؛ لذلك تغاضيت عن بعض الوقائع الفرعية التي لا يخل غيابها بالسياق العام للرواية.

وقد عاهدت الله في هذا العمر أن أكون صادقًا حتى النخاع، وأن أبدأ بإدانة تصرفاتي قبل غيري، فلقد بهرتني اعترافات دخلت التاريخ، بدءًا من «جان جاك روسو»، ومرورًا بسير «غاندي»، و«لويس عوض»، و«عبد الرحمن بدوي»، وغيرهم.

ولن أسمح لمشاعري الشخصية أن تطغى على الحقيقة، ولن أتيح للهوى الإنساني من حب وكراهية أن يلون المشاهد، ليرفع من يشاء ويسيء لمن يريد؛ إذ ليست لديّ عقد أعاني منها، أو تقلصات أتلوى بها، بل إن مسئوليتي أمام نفسي تحتم عليَّ أن أكون موضوعيًّا، مجردًا نزيهًا شريف الكلمة، صادق العبارة. وسوف أتجنب بالضرورة كل ما يؤدي إلى تجريح الآخر، أو الإساءة للغير، بما لا يسكت الحقيقة ولا يجمل الوقائع..

ها هي الصفحات القادمة تتقدم إلى القارئ بتواضع شديد، وأدب جم؛ لأن الإنسان هو ابن الخطيئة، و(من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر)، وأنا لا أدعي حيازة الحقيقة وحدي، أو النطق بالحكمة دون غيري، ولكنني ألتمس دائمًا أكبر قدر من الشفافية ونزاهة الكلمة وصدق العبارة.

ولقد جنَّبتُ صداقاتي بعيدًا عما أكتب، وتناسيت خصوماتي فيما أسطر؛ لأنني أريد الحقيقة لوجه الله والوطن، وسوف يشاركني القارئ الرأي عندما يرى بعض ما كتبت في الصحف المصرية والعربية في العشرين عامًا السابقة على أحداث 25 يناير 2011م، وكيف كنت صادقًا مع نفسي، ولم أكن موضع الرضا الكامل من رموز النظام الحاكم حينذاك.

ولا أدعي أيضًا أنني كنت شاهرًا سيفي في وجوه الآخرين؛ إنما عبرتُ دائمًا عن قناعاتي القومية، ومشاعري الوطنية في كل الظروف، ويكفي أن أقدم في إحدى صفحات «روايتي»

وثيقـة كتبتها بيدي عـام 1981 بعد تولي الرئيس الأسـبق مبارك مقاليد الحكـم بأيام، ورأيت أن أبعث بها إلى أسـتاذي وأخي ابن مصر البار أسـامة الباز، ولـم أنشـرها شـخصيًّا، بل نسـيتها في زحام السنين إلى أن قدمها السفير هاني خلاف مساعد وزير الخارجية الأسبق وزوج شقيقة الباز والتي نشـرها بخط يدي من واقع الوثيقة التي وجدها بين طيات أوراق أسـامة الباز الذي حفظها (رحمه الله) في ملفاته عشـرات السـنين، وهي برهان صادق على رؤية مبكرة لشـاب يعمل في سفارة مصر بالهند في ذلك الوقت.

وختامًـا، أعتقـد أن ميزان التاريخ عادل على المدى الطويـل، ينصف الناس، وينتصر للحق، ويبحث عن الحقيقة.. أسأل الله أن يتجاوز عما قصرت، وأن يتقبل مني ما قدمت.

د. مصطفى الفقي

أكتوبر 2020

الرواية

رحلة الزمان والمكان

ليست هذه صفحات مطوية من مذكرات شخصية، كما أنها ليست سيرة ذاتية بل تتجاوز ذلك كله لكي تكون تعبيرًا أمينًا عن طريق طويل سلكه صاحب الرواية مخترقًا عهود عبد الناصر مراقبًا، والسادات مشاهدًا ومبارك مشاركًا، وقد احتمى المؤلف بالصدق والتجرد والموضوعية مؤمنًا بأن دهاء التاريخ لا يرحم وأن الحياة في مجملها صعود وهبوط، انتصارات وانتكاسات، إنجازات وإخفاقات، إن مسيرة الكاتب تؤكد أن الحياة ليست حقيقة ولكنها أيضًا طريقة لذلك لم يتقمص صاحب الرواية شخصية سواه ولم يزعم لنفسه ما لم يفعل وقد اعتمد المؤلف في صياغته لهذا السفر الأمين على ما شهده أو سمعه ولم يسمح لنفسه باختلاق واقعة أو ادعاء بطولة أو التحامل على غيره، ورغم الحشد الضخم من المعلومات والروايات التي ازدحم بها هذا الكتاب إلا أنها خلاصة تجربة آثر صاحبها ألا يستغرق في التفاصيل وألا يتوه في الفرعيات فجاءت كما يراها القارئ معبرة عن الواقع منصفة للأموات قبل الأحياء .. إنها جزء من ذاكرة أجيال عبرت الطريق في العقود الأخيرة وهي تنظر إلى السماء في تبتل عشقًا للوطن وحبًا لمصر وإيمانًا بأنها عصية على السقوط لأنها الكنانة المحروسة دائمًا.

9 789777 952996

الدار المصرية اللبنانية